الباب الثاني

الدراسة التطبيقية

الوحدة الموضوعية في سورة الأنبياء

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

خصائص سورة الأنبياء

obeikandl.com

obeikandl.com

إن كنوز الأرض ضخمة ومتنوعة واسعة المساحة، تبدأ من الكون المحيط بأجزائه الصغيرة بدءًا من الذرة وانتهاء بالمجرات والأفلاك التي تدور فيها، وذلك بأنظمة دقيقة وتناسق محكم يسود كل ذلك. والقرآن الكريم كتابٌ حيٌّ دائم النضارة والبقاء، لا تبلى جدتّه، ولا يؤثر فيه الماضي والحال، والقديم والجديد، إنه فوق التطورات وفوق الأحداث، وإنه ليخاطب كل فترة من فترات التاريخ، وكل مدنية من مدنيات الأرض، وإن دعوته حية طرية، ورسالته غضة نضرة، إنه صورة البشر الناطقة، ومرآة الفطرة الإنسانية الوضية الصافية.[1]

إن من يبدأ تلاوة القرآن الكريم بتدبر تثيره أشياء كثيرة وتلفت نظره وتستجيش مشاعره، وهي آثار حسنة للتلاوة المتدبرة، ولكنها في الغالب فهم آني، ومشاعر وقتية،ربما تنتهي بالفراغ من التلاوة، أما إذا بدأ تالي القرآن ـ الباحث عن أسراره ـ تلاوته بعد تحديد هدف معين يسعى إلى الوصول إليه من خلال تلاوة السورة التي يقبل على تلاوتها فإنه ينظر بعين فاحصة إلى أنواع الروابط بين الهدف المحدد وبين مقاطع السورة، وسياق الآيات التي تتحدث عنها.[2] ويلاحظ دقة الألفاظ المختارة، لإبراز المعنى كوحدة مؤتلفة بين السورة القرآنية والموضوع الذي تدور عليه، بل ووحدة القرآن المتكاملة من أوله إلى آخره.

وهذا ما سيتم دراسته خلال الصفحات القادمة، بتوضيح الوحدة الموضوعية في سورة الأنبياء وإبرازها وحدة قرآنية مؤتلفة، وذلك بتحديد المقصد الرئيس والمحور

---

(١) المدخل إلى الدراسات القرآنية مبادئ تدبر القرآن والانتفاع به ـ أبو الحسن الندوي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م ـ (٢٣)

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي ـ مصطفى مسلم ـ (١٦٧)

الذي تدور فيه، وتوضيح مدى الترابط بين الأجزاء والآيات بالمقصد الرئيس للسورة، بمقدار ما يلاحظ من أن كل المعاني تتوجه إلى إبراز هذا المقصد وتعميقه في النفس والمشاعر، وإلقاء الأضواء عليه بيانًا وكشفًا وتوضيحًا.

المبحث الأول: بين يدي سورة الأنبياء:

المطلب الأول: اسمها وعدد آياتها:

سورة الأنبياء مكية نزلت بعد سورة إبراهيم[١]، وهي السورة الحادية والعشرون في ترتيب المصحف الشريف،[٢] وسميت بذلك لذكر قصص الأنبياء فيها[٣] إذ ورد فيها عدد كبير من الرسل والأنبياء.[٤] فقد ذكر فيها أسماء ستة عشر نبيًا وذكرت فيها مريم، ولم يأت في سور القرآن الكريم مثل هذا العدد من أسماء الأنبياء في سورة من سور القرآن الكريم، عدا ما في سورة الأنعام.[٥]

عدد حروفها:ـ ثمانية وتسعون وأربعة آلاف حرفٍ.[٦]

عدد كلمها:ـ ألف ومائة وثمان وستون كلمة[٧].

وعدد آياتها:ـ مائة واثنتا عشرة[٨] آية في العدد الكوفي، وإحدى عشرة آية في عد

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ تقديم:محمود حمدي زقزوق ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط١١ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ـ(٥٤٣)

(٢) في رحاب القرآن ـ إبراهيم سيد درويش ـ دار ضياء ـ عمان ـ الأردن ـ ٢٠٠٢م ـ (٥١)

(٣) التفسير الواضح ـ محمد محمود حجازي، دار التفسير للطبع والنشر ـالزقازيق ـ١٩٩٢ ـ٢/ ٥١٥

(٤) من أسرار وإعجاز القرآن الكريم ـ محمد أديب النابلسي ـ مكتبة دار الصفا ـ دمشق ـ سوريا ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م ـ (١٦٧)

(٥) التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م ـ (١٧/ ٥)

(٦) تفسير السراج المنير ـ محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين ـ دار النشر / دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بدون تاريخ ـ (٢/ ٥٤٦)

(٧) الكشف والبيان ـ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ـ تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ـ مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م (٦/ ٢٦٨)

(٨) حسن المدد في معرفة فن العدد ـ برهان الدين إبراهيم بن عمرالجعبري ـ إعداد بشير الحميري ـ رسالة ماجستير ـ (٢٩٩)

obeikandi.com

الباقين وهم المدني الأول والمدني الثاني والبصري والشامي فإنَّ العد الكوفي يعدّ قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ يعدها آية، والبقية يعدونها آية مع ما بعدها في قوله تعالى: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾الآية ٦٧ عند الكوفي و٦٦عند غيره[١].

علمًا أن الخلاف في مكان رأس الآية وليس فيه زيادة أو نقصان.

قال تعالى:ـ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾الحجر: ٩

المطلب الثاني: خصائص سورة الأنبياء

*أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال:ـ((بنو إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادي.))[٢].

*جاء في ترجمة الآمدي عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم مثواه، وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه الرجل فقال:"إني استقطعت رسول الله واديًا في ديار العرب واديًا أفضل، وأردت أقطع إليك قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك، فقال عامر:لا حاجة لي في قطعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا من الدنيا، يريد هذه السورة.

المبحث الثاني: أهداف سورة الأنبياء وخطوطها الرئيسة:.

إن تحديد محور السورة وأهدافها،يلقي أضواء كاشفة على الروابط بين مقاطع السورة وموضوعاتها.[٣]

إن السورة قد يكون لها هدف واحد أو أكثر تدور السورة حوله لإبرازه وتقريره في الأذهان، وبعض السور المتوسطة أو الطويلة قد تتضمن عدة أهداف، وتشكل محاور متداخلة، لكنها متعاضدة متساندة لا متعارضة متناقضة[٤] ويمكن معرفة

---

(١) سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله ـ أبو العباس الفضل بن شاذان ت٢٩٠هـ ط١ ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م ـ (١٨٦ـ١٨٧)

(٢) سبق تخريجه في ص (٤٥)

(٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي ـ مصطفى مسلم ـ ١٧٥.

(٤) ينظر:ـ المرجع نفسة (١٧٥)

أهداف ومحاور السورة من خلال التعرف على دلالة اسم السورة، وأسمائها التي تثبت عن طريق الوحي، أي: بالتوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول الإمام البقاعي في نظم الدرر:"الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما سيتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبّين لك إن شاء الله أوجه النظم مفصلًا بين كل آية وآية في كل سورة[1].

لذلك سوف نحدد أهداف سورة الأنبياء، لتلقي أمامنا أنوارًا كاشفة، ونحن نبحث في أثنائها، ومقاطعها ومنعطفاتها.

لما كانت سورة الأنبياء سورة مكية، فإننا نجد الأهداف الأساسية في السور المكية مقررة تقريرًا واضحًا فيها، وتلك الأهداف هي:ـ

ـ الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى.

ـ بيان صدق رسول الله صلى الله علية وسلم في دعوته ووجوب الإيمان برسالته، وبيان أنه بشر يوحى إليه من ربه وأن مهمته البشارة والإنذار.

ـ وكذلك الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، وذكر مشاهد القيامة، وعرض موقف الحساب والمناقشة والمخاصمة وغير ذلك[2].

ـ قصص الأنبياء والأمم السابقة[3].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ للبقاعي ـ (١/ ١٧)

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي ـ مصطفى مسلم ـ (١٧٥).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن ـ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ـ ١٩٩٦م ـ تحقيق مكتب البحوث والدراسات ـ (١/ ١٣٨).

ـ والموضوع الرئيس في السور المكية كلها هو العقيدة "لا إله إلا الله " بكل موجباتها في الآفاق والأنفس، وكل تفصيلاتها وتفريعاتها، وكل مقتضياتها في واقع النفس وواقع الحياة.بل نستطيع أن نقول في الحقيقة: إنَّ العقيدة هي الموضوع الرئيس في القرآن الكريم كله مكيه، أو مدنيه على السواء. ولكنها في السور المكية تستغرق المساحة كلها وتستوعب الحديث كله[١].

وهناك إلى جانب ذلك:ـ

الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالكتب والرسل والنبوات والوحي وهناك قصص الأنبياء، وهناك قصة آدم وقصة الشيطان، وهناك الأخلاق الإيمانية التي ينبغي التخلق بها بدلًا من الأخلاق الجاهلية التي ينبغي نبذها، وكل ذلك يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة ويؤكدها ويرسخها، بحيث يُعَدُّ ذلك بابًا من أبوابها.[٢]

كل هذه الأسس والدعوة إليها تشغل حيزًا واضحًا من مقاطع السورة، وتشكل محاور تدور أحداث السورة ومقاطعها حولها، وسنذكر بعض ذلك عند تفسير كل مقطع على حدة.

المطلب الأول: الأهداف الأساسية لسورة الأنبياء:

يمكن الوقوف على أهداف السورة بعد القراءة المتكررة لها، والتدبر لسياقها، والنظرات النافذة في آياتها.وأهم هذه الأهداف:

١ـ سورة الأنبياء مكية تعالج الموضوع الرئيس، موضوع العقيدة تعالجه في ميادينه الكبيرة:ـ ميادين التوحيد، والرسالة والبعث[٣] وتتحدث عن الساعة وشدائدها والقيامة وأهوالها، وعن قصص الأنبياء والمرسلين[٤].

٢ـ إثبات عقيدة الإسلام في نفوس المشركين. فتراها تعرض لأقوالهم، وترد عليهم مهددة منذرة[٥].

---

(١) دراسات قرآنية ـ محمد قطب ـ دار الشروق ـ ط٣ـ ١٤٠٢هـ ـ(٢١).
(٢) دراسات قرآنية ـ محمد قطب ـ ٣١
(٣) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ط٥ـ ١٣٨٦هـ ـ١٩٦٧ م ـ (٥/ ٧)
(٤) صفوة التفاسير ـ محمد علي الصابوني ـ دار القلم ـ ط١ ـ بيروت ـ (٨٢٢)
(٥) التفسير الواضح ـــ محمد محمود حجازي ـ (٢/ ٥١٥)

٣ـ تلفت الأنظار إلى الكون وما فيه حتى يستدل بذلك على خالقه[١].

٤ـ الاستدلال على تحقق الساعة وقربها ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير، لأن موجدها لا شريك له يعوقه عنها، وهو من لايبدل القول لديه، والدال على ذلك أوضح دلالة مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام[٢].

٥ـ عرض قصص الأنبياء للعبرة والعظة[٣].

٦ـ سورة الأنبياء تصور بعض مشاهد يوم القيامة بأسلوب قوي ومؤثر[٤].

٧ـ استجاشة القلب البشري لإدراك الحق الأصيل في العقيدة التي جاء بها خاتم الرسل ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يتلقاها الناس غافلين معرضين لاهين[٥].

٨ـ بيان أن الدين الحق عند الله هو الإسلام، وبه جاءت جميع الشرائع[٦].

المطلب الثاني: شخصية السورة وخطوطها الرئيسة:ـ

شخصية السورة: الخطر القريب المحدق ((قيام الساعة))، التي القلوب عنها لاهية، لأن موضوعها أن الرسالة حق وجد، فالله سبحانه وتعالى يربط بين الحق والجد في الدعوة، والحق والجد في نظام الكون، وبين عقيدة التوحيد ونواميس الوجود ووحدة الخالق المدبر، ووحدة الرسالة والعقيدة، ووحدة مصدر الحياة ونهايتها ومصيرها.[٧] فهذه الرسالة حق وجد، كما أن هذا الكون حق وجد، فلا مجال للهو في استقبال الرسالة،ولا مجال لطلب الآيات الخارقة.وآيات الله في الكون

---

(١) نفس المرجع ـ (٢/ ٥١٥)

(٢) نظم الدرر ـ البقاعي ـ (٦٤)

(٣) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥١٥)

(٤) نفس المرجع ـ (٢/ ٥١٥)

(٥) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (٥/ ٨)

(٦) تفسير المراغي ـأحمد المراغي ـ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الجلبي وأولاده ـ ط٦ ـ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م ـ مصر. (١٧/ ٨٢)

(٧) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٩)

obeikandl.com

وسنن الكون كله،توحي بأنه الخالق القادر الواحد، والرسالة من لدن ذلك الخالق القادر الواحد[1].

ويمكن الوقوف على خطوط السورة الأساسية، وهذه الخطوط بارزة في كل دروسها. وآياتها، وتربط موضوعاتها وحقائقها برباط وثيق وتجمع بين معانيها ودلالاتها، وتنسق بينها.

خطوط السورة الرئيسة:ـ

١ـ المشركون ودعواهم والرد عليهم[2]،وإنذارهم وتهديدهم، بما يوقف الأطماع ويحدد الاتجاه، وبما يوقفنا على ما كان عليه المشركون المشار إليهم في الآية، وإن كان اللفظ يتناول الناس جميعًا[3].

٢ـ مناقشة المشركين في عقائدهم[4]:ـ فيُناقش المشركين في عقائدهم الباطلة، ويبين لهم أن خلاصة

الرسالات السماوية من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميعًا أنه لا إله إلا هو فاعبدوه وحده لاتشركوا به شيئًا أبدًا فهل لكم حجة عقلية أو نقليه في اتخاذ الآلهة من دون الله[5].

كذلك تبدو دعوى المشركين في صورتها هذه واهية مستنكرة مستبعدة،لا يدعيها أحد،ولو ادعاها لذاق جزاءه الأليم[6].

٣ـ عرض أمة النبيين ـ وفيها تتجلى وحدة الرسالة والعقيدة، كما تتجلى رحمة الله بعباده الصالحين[7].

---

(١) نفس المرجع ـ (١٧/ ٨)
(٢) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥١٥)
(٣) المرجع نفسه ـ (٢/ ٥١٧)
(٤) المرجع نفسه ـ (٢/ ٥١٧)
(٥) المرجع نفسه ـ (٢/ ٥٢٥)
(٦) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٢٣)
(٧) المرجع نفسه ـ (١٧/ ١٠)

٤ـ عرض النهاية والمصير:ـ[١] نهاية الكافرين، ونهاية المؤمنين[٢].

وفيما يلي بعض البيان لهذه الخطوط الأربعة:ـ

الخط الأول:ـ المشركون ودعواهم، والرد عليهم وإنذارهم وتهديدهم:ـ

ونجدها واضحة في آيات السورة:ـ

١ـ قال مشركو قريش:ـ محمد يهددنا بالمعاد والجزاء على الأعمال،وليس بصحيح، وإنْ صح ففيه بعد.[٣]فرد الله عليهم بقوله: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ الأنبياء: ١

٢ـ تكذيب المشركين أن يكون الرسول بشرًا ووصفوه بالسحر ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٣

٣ـ إنهم ما صدقوا بحكمة هذا القرآن، ولا أقروا أنه من عند الله،ولا أنه وحي أوحاه الله إليه، بل قالوا هذه المقالات. ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٥

٤ـ لَمَّا حكى الله سبحانه عنهم تلك الاعتراضات الواهية،رَدَّ عليهم أبلغ رد، وأكده مبينًا أنه أنزل لهم كتابًا فيه ذكرهم وشرفهم وسعادتهم، وهو المعجزة الباقية، قال تعالى:ـ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنبياء:١٠

ولقد بالغ سبحانه وتعالى في زجرهم وتهديدهم بضرب الأمثال وذكر مآل الأمم الغابرة وذكر مظاهر القدرة القادرة.[٤] قال تعالى:ـ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الأنبياء:١١

٥ـ علة إعراض الكافرين وغفلتهم هي جهلهم بالله وفساد تصوراتهم عن

---

(١) المرجع نفسه ـ (١٧/ ١٠)

(٢) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥٥٧)

(٣) البحر المحيط ـ ابو حيان ـ (٤٠٦)

(٤) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥٢١)

حكمة خلقه السماوات والأرض، إنهم يجهلون أن الله لا يلهو ولا يعبث، ويجهلون جلاله وعظمته،ويجهلون أن من شأنه وسنته، أنه يبطل الباطل ويهلكه.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنبياء: ١٦ - ١٨

٦ـ أن من شأنه سبحانه وتعالى أن يُعبد ويُقدس، ولو أنهم عقلوا هذه المعاني ما أعرضوا ولا غفلوا، ولا أنكروا إرسال الرسل، ولا أنكروا إنزاله الكتب والوحي.[2]

قال تعالى:ـ ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنبياء: ١٩

الخط الثاني:ـ مناقشة المشركين في عقائدهم بعد أن بينت الآيات زيف المشركين وزعمهم في دعواهم، وردَّت عليهم، بدأت في مناقشة المشركين في عقائدهم الباطلة مبينة زيف هذه العقائد، والآيات في ذلك واضحة:ـ

١ـ بينت الآيات أن المنكر هو اتخاذهم آلهة من الأرض تحيي الموتى للبعث والحساب، نعم إن من أفظع المنكرات إن يحيي الجمادُ الموتى.[3] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الأنبياء: ٢١

ووصف هذه الآلهة بأنهم ينشرون من في الأرض، أي: يقيمون الأموات ويبعثونهم أحياء، فيه تهكم بتلك الآلهة التي اتخذوها.فمن أول صفات الإلة الحق أن ينشر الأموات من الأرض.

فهل الآلهة التي اتخذوها تفعل هذا؟ إنها لا تفعل، ولا يدعون لها هم أنها تخلق حياة أو تعيد حياة، فهي إذن فاقدة للصفة الأولى من صفات الإله[4].

---

(١) الأساس في التفسير ـ سعيد حوى ـ (٣٤٣٩)
(٢) الأساس في التفسير ـ سعيد حوى ـ (٣٤٣٩)
(٣) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥٢٤)
(٤) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٢٠)

openkamel.com

٢ـ ثم تعرض لنا الآيات الدليل الكوني المستمد من واقع الوجود.

قال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٣

قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٢

أي: لو كان في السماوات والأرض إله غير الله لخربتا وهلك من فيهما ـ ذاك أنه لو كان فيهما إلهان فإما أن يختلفا، أو يتفقا في التصرف في الكون، والأول ظاهر البطلان،لأنه أما ينفذ مرادهما معًا، فيريد أحدهما الإيجاد والثاني لا يريده فيثبت الوجود والعدم لشيء اختلفا فيه،وأما إن ينفذ مراد أحدهما دون الثاني، فيكون هذا مغلول اليد عاجزًا، والإله لا يكون كذلك، والثاني باطل أيضًا، لأنهما إذا أوجداه معًا وجب توارد الخلق من خالقين على مخلوق واحد.(١)

فالكون قائم على الناموس الواحد الذي يربط بين أجزائه جميعًا،وينسق بين أجزائه جميعًا، وبين حركات هذه الأجزاء وحركة المجموع للنظم.. هذا الناموس الواحد من صنع إرادة واحدة لإله واحد.(٢)

وقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٢

من أعظم الأدلة التي ذكرها القرآن على التوحيد.(٣)

٣ـ لما أثبت بالدليل أن المدبر للسماوات والأرض لا يكون إلا واحدًا، وذلك الواحد لا يكون إلا الله.(٤)

قال تعالى ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾. الأنبياء: ٢٢

نزه الله نفسه، وأمرنا أن ننزهه عما يصفه المشركون، فهو الله لا إله إلا هو فاطر

---

(١) تفسير المراغي ـ أحمد المراغي ـ(١٧/ ١٩)

(٢) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٢٠)

(٣) الأساس في التفسير ـ سعيد حوى ـ (٣٤٤٤)

(٤) تفسير المراغي ـ احمد المراغي ـ(١٧/ ١٩)

السماوات والأرض، رب العرش ـ وسع كرسيه السماوات والأرض تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.[1]

ثم أكد هذا التنزيه بقوله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٣

أي: هو الحكم الذي لا معقب لحكمه،ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله، وعلمه وحكمته، وعدله

ولطفه، وهو سائل خلقه عما يعملون.[2]

٤ـ ثم كرر سبحانه وتعالى عليهم الإنكار والتوبيخ فقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٤

استفظاعًا لشأنهم واستعظامًا لكفرهم، وزاد في هذا التوبيخ قوله:ـ ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ فكأنه وبخهم على قصد الكفر بالله عَزَّ وجلَّ، ثم دعاهم إلى الإتيان بالحجة على ما اتخذوا، ولا حجة تقوم على أن لله تعالى شريكًا لا من جهة العقل ولا من جهة النقل.[3]

٥ـ بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون، فهم معرضون عن الحق جهلًا منهم بل وقلّة فهم.[4] ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٤

٦ـ ولقد بينت لنا الآيات دعوى جديدة للمشركين وهي اتخاذ الله ولدًا ـ سبحانه ـ دعوى اتخذت لها عدة صور في الجاهليات المختلفة، فقد عرفت عند مشركي العرب في صورة بنوة الملائكة لله،وعند مشركي اليهود في بنوة العزير،وعند مشركي

---

(١) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥٢٥)

(٢) تفسير المراغي ـ أحمد المراغي ـ (١٧/ ١٩)

(٣) البحر المحيط ـ لأبي حيان الأندلسي ـ(٧/ ٤٢١)

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـالطبري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ تاريخ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ـ (١٧/ ٢١)

obeikandl.com

النصارى في صورة بنوة المسيح لله ـ وكلها من انحرافات الجاهلية في شتى صورها.[1]

قال تعالى:ـ ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٦

والله سبحانه وتعالى رَدَّ عليهم في الآيات اللاحقة مبيناً طبيعة الملائكة.

الخط الثالث:ـ عرض لأمم الرسل، يشير إلى بعضهم مجرد إشارة، ويفصل عند بعضهم تفصيلًا مطولًا،وآيات السورة واضحة في ذلك:ـ

ا ـ فالآيات تبدأ بالإشارة إلى موسى وهارون، قال تعالى:ـ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٨

٢ـ ثم تطول الآيات عند عرض حلقةٍ من قصة إبراهيم علية السلام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٥١

٣ـ وبعد ذلك تتجه الآيات لعرض طرف من قصة لوط ونوح عليهما السلام:ـ ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٧١ - ٧٧.

٤ـ ثم تنتقل الآيات لذكر نبي الله داود وسليمان عليهما السلام ". قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ الأنبياء: ٧٨.

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٢٢)

٥ـ ثم تتجه الآيات لذكر طرف من قصة أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٣

٦ـ وبعد ذلك تشير الآيات إلى إسماعيل وإدريس وذا الكفل عليهم السلام ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٥

٧ـ ثم تشير الآيات إلى طرف من قصة يونس عليه السلام ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧

٨ـ وأخيرًا تنتقل الآيات إلى الإشارة إلى زكريا ويحيى ومريم عليهم السلام. ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٨ ـ ٩١

وبهذا العرض في ذكر أمم الرسل يتبين لنا، الوحدة الكبرى عند الرسل جمعًا،وجريان السنن على وتيرة واحدة.(١) ـ

كما يتبين لنا تشخيص لمواقف الناس من الوحي الجديد، وأمثلة لمواقفهم من الأنبياء السابقين، موسى وهارون، وإبراهيم، ولوط، ونوح، وداود وسليمان، وأيوب، وإسماعيل وإدريس وذا الكفل، وذو النون، ثم تحديد للأمة التي ترث الأرض.(٢)

الخط الرابع: ـ عرض النهاية والمصير:ـ

والآيات واضحة في عرض نهاية الكافرين ونهاية المؤمنين:ـ

---

(١) ينظر:ـ التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـــ (٢/ ٥٤٤)

(٢) تفسير القرآن المرتب منهج ميسر لليسر التربوي ـــ د.أسعد أحمد علي ـــ دار السّئوال للنشر ـ دمشق ـ سوريا ـ ط٣ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ـ (٣٠)

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ الأنبياء: ١

هذا تنبيه من الله عزَّ وجلَّ على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس في غفلة عنها لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها.(١)

أي: قرب مجيء يوم القيامة، وإذ ذاك تشخص أبصار الذين كفروا وترتفع أجفانهم، فلا تكاد تطرف من هول ما هم فيه حين يقومون من قبورهم، ويعلمون أن هذا يوم الحساب الذي لم يعدوا له العـــدَّة، بل كانوا ينكرون مجيئه.(٢)

٢ـ يميل السياق إلى حكاية حالهم إلى إبرازهم يتكلمون، وبذلك يجيء المشهد ويستحضره ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الأنبياء: ١٤

وهو تفجع المفجوء الذي تنكشف له الحقيقة المروعة بغتة، فيذهل ويشخص بصره فلا يطرف، ويدعو بالويل والهلاك، ويعترف ويندم، ولكن بعد فوات الأوان.(٣)

٣ـ ثم تبين الآيات مصير الكافرين، قال تعالى:ـ ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٨

إنكم أيها الكفار والمشركون أنتم وما تعبدون من دون الله من صنم أو وثن أو شيطان أو حيوان أو نجم وغيرة حصب جهنم ووقودها.(٤)

وتذكر الآيات أن ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ﴾ أي لو كانت هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها.(٥)

---

(١) تفسير من نسمات القرآن كلمات وبيان ـ. غسان حمدون ـ دار السلام ـ ط٨ـ تاريخ ـ ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٦م ـ (٣٣٦)

(٢) تفسير المراغي ـ أحمد المراغي ـ(١٧/ ٧١)

(٣) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ(١٧/ ٥٩)

(٤) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥٥٨)

(٥) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ دار مكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ(٤/ ١٢٦)

٥ـ وبعد ذلك توضح الآيات نهاية المؤمنين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠١

أي: إن الذين سبق لهم التوفيق للطاعة، وأخلصوا لله العمل لا يدخلون النار ولا يقربونها البتة.

وقد ذكرت الآيات أوصاف المؤمنين حينئذ في الجنة:ـ

فهم لا يسمعون صوت النار، ولهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم، ولا يخيفهم هول النفخة الأخيرة في الصور حين قيامهم من قبورهم للحساب وتستقبلهم الملائكة بالبشرى من النجاة من العذاب.

وخلاصة ذلك:ـ إنهم خلصوا من كل ما يكرهون، وفازوا بكل ما يحبون.[1]

الفصل الثاني:ـ المناسبات في سورة الأنبياء:

إن معرفة المناسبات بين اسم السورة وموضوعاتها، وبين افتتاحية السورة وخاتمتها، وبين افتتاح السورة وخاتمة ما قبلها، وبين مقاطع السورة وأهدافها، كلُّ ذلك له فوائد عظيمة ويساعد على معرفة الحكم والأسرار المكنوزة في أثناء الآيات الكريمة.

وسنحاول أن نذكر وجوهًا من هذه المناسبات فيما يأتي:ـ

المبحث الأول:ـ المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها:ـ

لكي نستنبط وجه المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها، لابد أن يكون اسم السورة توقيفيًا، أي: ثابتًا عن رسول الله صلى الله علية وسلم،الذي لا ينطق عن الهوى، وقد دلت الروايات على أن السورة تسمى "سورة الأنبياء".

ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود أنه قال: (بنو إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادي.)[2]

٤ـ تفسير المراغي ـ أحمد المراغي ـ (١٧/ ٧٥)

١ـ سبق تخريجه في صفحة (٤٤).

obeikandl.com

ومقصودها الاستدلال على تحقق الساعة وقربها ولو بالموت،ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير لأن موجدها لا شريك له يعوقه عنها، وهو من لا يبدل القول لديه، والدال على ذلك أوضح دلالة مجموع قصص الأنبياء عليهم السلام، ولا تستقل قصة منها استقلالًا ظاهرًا بجميع ذلك، ولا تخلو قصة من قصصهم، من دلالة على شيء من ذلك فنسبت إلى الكل.[١]

فلو نظرنا إلى هذه السورة وإلى موضوعات السورة، لوجدنا بين الاسم وموضوعاتها مناسبة لطيفة، تهدف إلى إثبات عقيدة الإسلام في نفوس المشركين، فتراها تعرض لأقولهم، وترد عليهم مهددة ومنذرة، وتلفت الأنظار للكون، وما فيه حتى يستدل بذلك على خالقِهِ، ثم تعرض لقصص الأنبياء للعبرة والعظة.[٢]

إن سبب تسميتها بسورة الأنبياء لكثرة من ذكر فيها من الأنبياء[٣] وسورة الأنبياء يشير اسمها إلى موضوعها[٤] وسميت بذلك لاشتمالها على فضائلهم الجليلة عليهم السلام.[٥]

وتتميز القصة في القرآن الكريم بأنها تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجًا عضويًا

لا مجال فيه للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة[٦]، ولذلك جاء ت قصص الأنبياء في السورة لمقاصد شتى منها:ـ

١ـ إظهار صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن الأمم الماضية عبر القرون والأجيال وقيام التحدي بذلك، وهذا في حد ذاته إعجاز،

---

(١) نظم الدرر ـ البقاعي ـ (٦٤)

(٢) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥١٥)

(٣) التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب ـ (٥/ ٨٤٥)

(٤) دراسات قرآنية ـ محمد قطب ـ (٩٩)

(٥) تفسير القاسمي المسمى "محاسن التأويل "ـ محمد جمال الدين القاسمي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ (١٠/ ٤٢٤٣)

(٦) القصة في القرآن الكريم.. الخصائص والدلالات ـ. إبراهيم الصعبي ـ دار النشر مجهولة ـ (١)

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أميًا وقد جاء بكتاب فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا، وحكم ما بيننا.[١]

٢ـ تثبيتُ فؤادِ النبي صلى الله عليه وسلم.[٢]

٣ـ التسرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما يلقاه من قومه من تكذيب وأذى واتهام بالسحر والجنون، فقدكُذِّبَ الرسل من قبل وَوُجِّهَ لهم نفس القول، ثم صبروا حتى جاءهم نصر الله وإهلاك المكذبين[٣] والآيات في سورة الأنبياء واضحة في ذلك، فقد عرضت قصص الأنبياء السابقين، ومن ذلك:ـ ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٨

٤ـ إبراز حقيقة عقيدية مهمة تبرز من خلال السرد التاريخي، أن الأنبياء والرسل جميعًا عليهم الصلوات والسلام جاؤوا بكلمة واحدة وقضية واحدة على تتابع الأجيال، كلمة واحدة هي:لا إله إلا الله. وقضية واحدة هي: اعبدوا الله مالكم من إله غيره.[٤]:ـ

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٢ وأنهم قاموا جميعًا بدعوة أقوامهم إلى عبادة الله وتوحيده، والإيمان به وتحذيرهم من الإشراك به.[٥]

٥ـ ومن الأهداف المهمة كذلك الموازية في أهميتها لقضية وحدة الرسالة ووحدة إبراز الموقف الموحد الذي تقفه الجاهليات جميعًا من رسلها الذين أرسلوا إليها[٦] أَنَّ

---

(١) عظات وعبر في قصص القرآن ـ سعيد عبدالعظيم ـ دار الإيمان ـ الإسكندرية ـ مصر ـ بدون تاريخ ـ (٢٨٢)

(٢) موسوعة القرآن العظيم ـ عبد المنعم الحنفي ـ مكتبة مدبولي ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ٢٠٠٤م ـ (٨٣١)

(٣) دراسات قرآنية ـ محمد قطب ـ(٩٩)

(٤) دراسات قرآنية ـ محمد قطب ـ (١٠٢)

(٥) محاورات الأنبياء لأقومهم في القرآن الكريم ـ نجيب السودي ـ إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ـ صنعاء ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ـ (٧٥ـ٧٦)

(٦) دراسات قرآنية ـ محمد قطب ـ (١٠٢)

obeikandl.com

موقف الجاهلية واحد من كل الرسل:ـ التكذيب والإعراض ثم التشهير بالرسول حين يتضح أنه مصر على دعوته،لم يثنه عنها إعراض ولا تكذيب.ولا إغراء ولا تهديد بالأذى له وللذين آمنوا معه ثم تنفيذ التهديد أحيانًا والحيلولة دون ذلك بقدر الله.[1]

٦ـ المنهج القصصي في القرآن، غرضه الأساسي شرح مبادئ الدعوة الإسلامية وتثبيت عقيدة التوحيد في نفوس المسلمين، وتوكيد الدلالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مبلغ عن ربه، وأن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين ـ لا يقدم ذلك نظرية مجردة عقلية منطقية فحسب، بل يقدم منهجه على الفكر والنظر والتدبر.[2]

٧ـ إنّ وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، وإن استقبال قومهم لهم، متشابه ـ فضلًا عن أن الدين من عند إله واحد، وأنه قائم على أساس واحد ـ وتبعًا لهذا كانت ترد قصص الأنبياء مجتمعة أيضًا، مكررة فيها الدعوة وذلك على نحو ما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام.[3]

٨ـ إن الابتلاء هو سنة الله للمؤمنين ثم يقول إن الله هو الذي يضع المؤمنين في الابتلاء بقدر منه ويضع الطغـاة في موضع الغلبة بقدر منه حتى إذا جاء أمر الله بالنصر للمؤمنين بقدر من الله، ووقع الهلاك بالمكذبين بقدر من الله كذلك من الله.[4]

٩ـ إبراز سنة الله في عباده الصالحين المحسنين، وأن الله يتولى نجاتهم من المأزق، ومكافأتهم بالحسنى على إحسانهم ويمكن لهم في الأرض، لأن الأرض لا تزدهر إلا

---

(١) المرجع نفسه ـ (١٠٥)

(٢) الوحدة الفنية في القصة القرآنية ـ محمد الدالي ـ دار النشر مجهولة ـ ط١ـ ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م (١٧)

(٣) علوم القرآن وإعجازه ـ عدنان زرزو ـ دار الإعلام عمان ـ الأردن ـ ط١ـ ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م ـ (٦٦١ـ٦٦٢)

(٤) دراسات قرآنية ـ محمد قطب ـ (١١١)

obeikandl.com

بهم، ولا تورق الآمال إلا بهم، ولا تزدهي الحياة ولا الأحياء إلا بهم، ولا تتطور المجتمعات إلا بقيمهم.[١]

١٠ـ تربية الخلق وتهذيب السلوك، ذلك أن القصة تعد من أنجح الوسائل التربوية في تكوين الشخصية الإنسانية، لأنها تضع أمام السامع المثل الخلقي في صورة واقعية، لاسيما إذا اتضح من خلال القصة أن الاستقامة تؤدي إلى السعادة، وأن السلوك المعوج عاقبته الشقاء وسوء الحال.[٢]

١١ـ لم يكتف القرآن بسرد تاريخ الرسل والأنبياء،الذين أرسلهم الله سبحانه عبر التاريخ لإيقاظ القيم الدينية وهداية البشر كمعرفة نظرية بل إنه أمر بالسير في الأرض للبحث العلمي وتعقب تاريخ هذه الأمم التي أنزلت عليها الرسالات لأخذ العبر والدروس مما حلّ بهم من عذاب شديد بسب تكذيبهم للأنبياء والوحي..[٣]

١٢ـ بيان ما فيه صلاح القلب والسلوك والخلق والاعتقاد والعمل.[٤]

المبحث الثاني: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

إن المناسبة بين افتتاحية سورة الأنبياء وخاتمتها واضحة وجلية، بل إن الحقائق التي عرضت في افتتاحية السورة كررت ذاتها بأسلوب آخر في الخاتمة ومن ذلك:ـ

١ـ بدأت السورة بمطلع قوي الضربات، يهز القلوب هزًا،وهو يلفتها إلى الخطر القريب المحدق، وهي عنه غافلة لاهية[٥]:ـ ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ الأنبياء: ١

---

(١) سورة يوسف ـ أحمد نوفل ـ دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ـ ط٢ـ ١٩٩٩م ـ (ج)

(٢) قصص الأنبياء ـ ابن كثير ـ حققه وعلق عليه عادل أبو العباس ـ مكتبة دار القرآن ـ القاهرة ـ بدون ـ تاريخ ـ (٣)

(٣) القرآن والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم ـ أسامة الخضر ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ـ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ـ (٤٢)

(٤) تأملات إيمانية في سورة يوسف ـ ياسر برهامي ـ دار الإيمان ـ الإسكندرية ـ مصر ـ بدون تاريخ ـ (١٤)

(٥) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٩)

obeikandl.com

وتضمنت خاتمة السورة مثل ما بدأت به:ـ إيقاعًا قويًا، وإنذاراً صريحًا، وتخليته بينهم وبين مصيرهم المحتوم.[1]

﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنبياء: ١١٢

٢ـ بدأت السورة ببيان أن الناس غافلون عن الحكمة من خلقهم، وذلك بسبب انشغالهم بالدنيا عن محاسبة الله لهم. ومن علامات غفلتهم:ـ أنه ما يأتيهم من آيات الله القرآنية لتذكرهم بالله إلا استمعوا إليها وهم يلعبون، غير معتبرين، ساهية وغافلة قلوبهم، بل تناجوا بالتكذيب قائلين:ـ هل هذا الذي يزعم أنه رسول إلا بشر مثلنا؟ ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ الأنبياء: ٢

وختمت السورة بأمر رباني إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر إليه، وانتظار الفرج منه،فالله يحكم بالحق، وهو المستعان على كل شيء.

﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنبياء: ١١٢

٣ـ جاء في افتتاحية السورة أنه قد دنا وقت الساعة وهم غافلون عن حسابهم، ساهون لايتفكرون في عاقبتهم، مع أن قضية العقل تقضي بجزاء المحسن والمسيء، وإذاهم نبهوا من غفلتهم بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم عن سماعه.[2]

كما بينت الآيات أن الكفار طعنوا بنبوته بأمرين:ـ

١ـ أن الرسول لا يكون إلا مَلَكًا.

٢ـ أن الذي يظهر على يديه من قبل السحر.[3]

﴿ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٣

واختتمت السورة بطلب الرسول صلى الله عليه وسلم،أن يحكم الله بينه وبين

---

(١) المرجع نفسه ـ (١٧/ ١٠)

(٢) تفسير المراغي ـ أحمد المراغي ـ (١٧/ ٥)

(٣) المرجع نفسه ـ (١٧/ ٥)

أعدائه المشركين، وأن الله هو المستعان على ما يصفونه به من أنه مفتر،وأنه مجنون وأنه شاعر يتربصون به ريب المنون.

قال تعالى:ـ ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ الأنبياء: ١١٢

٣ـ جاء في افتتاحية السورة ما يوقف الأطماع، ويحدد الاتجاه، وما يوقفنا على ما كان عليه المشركون المشار إليهم في الآية، وإن كان لفظ الآية يتناول الناس جميعًا.[١] قال تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ ﴾ الأنبياء: ١

واختتمت السورة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يدري أقريب أم بعيد ما توعدونه من العذاب ! فهو رسول الله إليهم فقط ولا يعلم من الغيب شيئًا بل العالم بالحقائق حقًا هو الله ـ سبحانه ـ الذي يعلم ما تكتمون من عداوة وحسد للمسلمين، وليس يدري لعل تأخير العذاب عنهم فتنة لهم، وابتلاء ليرى كيف يكون صنيعهم وهو أعلم بهم، ولعله متاع لهم يتمتعون به إلى أجل معلوم وزمن محدود ليكون ذلك حجة عليهم، وليقع الموعد في وقت معين.[٢]

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ۝١٠٩ ﴾ الأنبياء: ١٠٩

٥ـ افتتحت السورة بالحديث عن قرب الساعة:ـ

﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ ﴾ الأنبياء: ١

وختمت بالحديث عنه:ـ

"﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧ ﴾ الأنبياء: ٩٧ فتناسب المطلع والختام.[٣]

---

(١) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥٨٧)

(٢) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥٦٢)

(٣) جواهر البيان في تناسب سور القرآن ـ لأبي الفضل عبد الله محمد الغماري الحسني ـ (٦٤)

المبحث الثالث: المناسبة بين افتتاح السورة وخاتمة ما قبلها:

١ـ لما خُتمت سورة طه بأن الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله فتنة، وأن الله تعالى نهى رسوله صلى الله عليه وسلم، أن يتطلع إليها، وأمره بالصلاة والصبر عليها،وأن العاقبة للمتقين قال تعالى:ـ ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ طه: ١٣٠ ـ ١٣١

فقد بدئت السورة بمثل ما ختمت به السابقة، فذكر فيها أن الناس غافلون عن الساعة والحساب، وأنهم إذا سمعوا القرآن استمعوه وهم لاعبون، وقلوبهم لاهية عنه. (١)

﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ الأنبياء: ١

٢ ـ لما اختتمت طه بإنذارهم بأنهم سيعلمون الشقي والسعيد،وكان هذا العلم تارة في الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان، وتارة بمعاينة ظهور الدين، وتارة بإحلال العذاب بإزهاق الروح بقتل أو غيره، وتارة ببعثها يوم الدين، افتتحت هذه بأجلى من ذلك وهو اليوم الذي يتم فيه كشف الغطاء. فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين وهو يوم الحساب.(٢)

٣ـ أن الله سبحانه وتعالى قال في آخر سورة طه: ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ ﴾ طه: ١٣٤

قبل النبي صلى الله عليه وسلم، لقالوا يوم القيامة: ﴿ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ طه: ١٣٤(٣)

فذكر هنا أنه أرسل إليهم رسولًا وأنزل عليه آيات فأعرضوا وكذبوا: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم

---

(١) تفسير المراغي ـ أحمد المراغي ـ (١٧/ ٣)

(٢) نظم الدرر ـ البقاعي ـ (٦٣)

(٣) جواهر البيان في تناسب سور القرآن ـ لأبي الفضل عبد الله محمد الغماري الحسني ـ (٦٣)

obeikandl.com

﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾

٤ـ أنه سبحانه وتعالى لما قال في سورة طه: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ۝١٣٥﴾ طه: ١٣٥ "وقال قبله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝١٢٩﴾ طه: ١٢٩

قال في مطلع سورة الأنبياء: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ الأنبياء: ١

إشارة إلى قرب الأجل ودنو الأمل المنتظر.[١]

٥ـ أنه لما ذكر الله تعالى في سورة طه:ـ ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ۝١٣٥﴾ طه: ١٣٥

قال مشركو قريش: محمد يهددنا بالمعاد والجزاء على الأعمال وليس بصحيح، وإن صح ففيه بعد[٢]، فأنزل الله تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ الأنبياء: ١

٦ـ ذكر الله تعالى في سورة طه نجاة موسى وهارون عليهما السلام ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۝٧٧ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۝٧٨﴾ طه: ٧٧ - ٧٨

وذكر هنا نجاة إبراهيم عليه السلام" ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾ الأنبياء: ٦٨ - ٧٠ وهؤلاء زعماء الرسل أنجى الله كلًا منهم بمعجزة، فنوح أبو البشر الثاني أنجاه الله بالطوفان وإبراهيم أنجاه الله بإطفاء النار عنه، وموسى أعظم أنبياء بني إسرائيل وصاحب شريعتهم أنجاه الله بانفلاق البحر له.[٣]

---

(١) أسرار ترتيب القرآن ـ للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق عبد القادر عطا ـ (١١٧)
(٢) البحر المحيط ـ لأبي حيان الأندلسي ـ (٧/ ٤٠٦)
(٣) جواهر البيان في تناسب السور ـ لأبي الفضل ـ (٦٤)

openkan.com

٧ـ ومنه أيضًا مناسبة لقوله هناك ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ طه: ١٣١

فإن قرب الساعة يقتضي الإعراض عن هذه الحياة الدنيا، لدنوها من الزوال والفناء، ولهذا ورد في

الحديث:ـ أنها لما نزلت قيل لبعض الصحابة:ـ هلا سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها ؟ فقال:ـ

فقال:ـ نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا[1]

٨ـ وأيضًا فيه مناسبة لقوله تعالى:ـ ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ إلى قوله:ـ ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ طه: ١٣٥ "

بقوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ الأنبياء: ١

أي: لا تمدن عينيك إلى ذلك فإني جعلته فتنة لمن ناله بغير حق، ونسأل عن قليل ذلك وكثيره

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ التكاثر: ٨

والأمر قريب ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ وأيضًا فإنه تعالى لما قال: ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ مريم: ٩٧

وهم شديدو الخصومة في الباطل، ثم قال: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ مريم: ٩٨

إلى آخرها، استدعت هذه الجملة بسط حال، فابتدأت بتأنيسه عليه الصلاة والسلام وتسليته، وحتى لا يشق عليه لددهم، فتضمنت سورة طه من هذا الغرض بشارته بقوله:ـ

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ طه: ٢

---

(١) أسرار ترتيب القرآن ـ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق عبدالقادر عطا ـ (١١٧)

وتأنيسه بقصة موسى عليه السلام، وما كان من حال بني إسرائيل، وانتهاء أمر فرعون، ومكابدة موسى عليه السلام لرد فرعون، وأورث عباده أرضهم وديارهم، ثم أُتبِعَت بقصة آدم عليه السلام ليري نبيه صلى الله عليه وسلم سنته في عباده، حتى إن آدم عليه السلام وإن لم يكن امتحانه بذريته ولا مكابدته من أبناء جنسه ـ فقد كابد من إبليس ما قصه الله في كتابه، وكل هذا تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه إذا تقرر لديه أنه سنة الله تعالى في عباده،هان عليه لدد قريش ومكابدتهم، ثم ابتدأت سورة الأنبياء ببقية هذا التأنيس.[1]

٩ـ ومن مناسبة هذه السورة لما قبلها: ختمت سورة طه بالتنديد بالمشركين من أهل مكة، وبمشاقتهم

لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأبّيهم على الهدى الذي يدعوهم إليه، ثم إنهم وقد بعث الله فيهم رسولًا بلغهم رسالة ربه، فلا حجة لهم على الله، إذا أخذهم بعذابه، ولا سبيل لهم أن يقولوا:ـ

﴿ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ طه: ١٣٤

ثم تختم السورة بهذا النذير المطل عليهم، وقد تركوا بمنقطع الطريق، بعيدين عن أن يضعوا أقدامهم على طريق الهدى ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ طه: ١٣٥

وفي مفتتح هذه السورة ـ سورة الأنبياء ـ تطل على المشركين نذر هذا اليوم، وهم على موعد معه، وأن كانوا في غفلة وذهول عنه.[2] ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾. الأنبياء: ١

المبحث الرابع :ـ المناسبة بين مقاطع السورة وهدفها :ـ

ذكرنا في السابق أهداف سورة الأنبياء، وذكرنا أن موضوعها وهدفها الرئيس:

---

(١) نظم الدرر ـ البقاعي ـ (٦٤)

(٢) التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب ـ (٥/ ٨٤٦)

أن الرسالة حَقٌّ وجِدٌّ، فلا مجال للهو في استقبال الرسالة، ولا مجال لطلب الآيات الخارقة، وآيات الله في الكون كله توحي بأنه الخالق القادر الواحد، والرسالة من لدن ذلك الخالق القادر الواحد.(١)

وإذا أدركنا ذلك وحددنا هذا الهدف، سهل علينا الربط بين مقاطع السورة كلها، وبين الهدف الذي تبرزه السورة وتقرره.

فافتتاحية السورة مطلع قوي الضربات، يهز القلوب هزًا، وهو يلفتها إلى الخطر القريب المحدق وهي عنه لاهية ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١﴾ الأنبياء: ١

ثم يهزها مرة أخرى بمشهد من مصارع الغابرين، الذين كانوا عن آيات ربهم غافلين.(٢) ثم تبين لنا الآيات أن خلق السماء المرفوعة، والأرض الموضوعة، وما بينهما من عجائب الخلق لم يكن لَّلهو واللعب كما يفعل بعض الخلق في دنياه، ولكنها آيات شاهدة على حكمة الحكيم، وقدرة القادر العليم، وعدل الحق ـ سبحانه وتعالى ـ وكانت ميادين للتفكير السليم، والنظر الصحيح الذي يوصل إلى العبادة الخالصة لخالقهما، وكانت من نعم الله على خلقه. (٣)

فبذلك يربط بين الحق والجد في الدعوة، والحق والجد في نظام الكون، وبين عقيدة التوحيد ونواميس الوجود، وبين وحدة الخالق المدبر ووحدة الرسالة والعقيدة، ووحدة مصدر الحياة ونهايتها ومصيرها.(٤) ثم تناقش الآيات المشركين في عقائدهم بالأدلة العقلية والنقلية وتثبت لهم زيف ما يعتقدون،وتبين لهم خلاصة الرسالات السماوية.

من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسام جميعًا أنه لا إله إلا هو

---

(١) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٨)
(٢) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٩)
(٣) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥٢٢)
(٤) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٨)

obeikandl.com

فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً أبدًا.[1] وأَنَّ الرسل جميعًا أرسلوا بالإخلاص والتوحيد لا يقبل منهم سواه.[2] وإن الأمر جد وحق، وكل ما حولهم يوحي باليقظة والاهتمام.[3]

وتنتقل الآيات لتستعرض أمة النبيين بإسهاب عند ذكر بعضهم،وتذكر بعضهم الآخر بإيجاز.

وبعد أن ذكر الله أخبار الماضين من الرسل وأقوامهم، وظهر أنهم جميعًا يسارعون في الخيرات، ويدعون الله رغبًا ورهبًا، وكانوا لله خاشعين، وعليه متوكلين، وله مسلمين، دينهم التوحيد الخالص،والإيمان بالله ورسله وكتبه، أشار ـسبحانه وتعالى ـ إلى الدعوة المحمدية على أنها ليست بدعًا وليس صاحبها بدعًا من الرسل.

إن هذه الملة المحمدية هي ملتكم التي يجب أن تتمسكوا بها، ولا تنحرفوا عنها، وهي ملة واحدة كما عرفتم من الأمم مع أنبيائهم، أعني ملة واحدة غير مختلفة في الأصول والعقائد.

إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم الواحد الأحد، الفرد الصمد فاعبدوني، ولا تشركوا بي شيئًا، وآمنوا برسلي خاصة خاتم النبيين.[4] فالدين عند الله واحد، وإن جميع الأنبياء قد اتفقوا عليه، ولم يختلفوا فيه في عصر من الأعصار. وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وأنه هو القاهر فوق عباده، المالك لجميع السماوات والأرض، لا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم، وإن اختلفوا في الرسوم والأشكال بحسب اختلاف الأزمان والأمكنة.[5] وبذلك تتجلى وحدة الرسالة والعقيدة، كما تتجلى رحمة الله بعباده الصالحين وإنجاؤه لهم وأخذ المكذبين.[6]

---

(١) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ (٢/ ٥٢٥)
(٢) تفسير المراغي ـ أحمد المراغي ـ (١٧/ ٢١)
(٣) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ٩)
(٤) التفسير الواضح ـ محمد حجازي ـ(٢/ ٥٥٥)
(٥) تفسير المراغي ـ أحمد المراغي ـ (١٧/ ٦٨)
(٦) في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (١٧/ ١٠)

ثم تعرض لنا الآيات النهاية والمصير، نهاية الكافرين، ونهاية المؤمنين.

وبهذا العرض يتبين لنا أَنَّ مقاطع السورة تِدوُر حَولَ محورِ السورةِ وهدفها الرئيس ((وحدة الرسالة والعقيدة وأن الرسالة حَقٌّ وجِدَّ))، وجميع مقاطعها تشترك في تقرير عقيدة التوحيد والرسالة.

obeikandl.com